مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة باتنة1 المجلد (24) – العدد (02) (ديسمبر، 2023) -ص 49- 64
ISSN 1111-5149 /E. ISSN 2430-2588

صورة الخوارج في مدونات الملل والنحل

The picture of al- khawarij in the books of sects and creeds

مختاري عمر* ، جامعة محمد بن أحمد وهران2 (الجزائر)، omarmokhtari25@yahoo.com
https://orcid.org/0009-0006-5614-7716

تاريخ الاستلام	2023-01-31	تاريخ القبول	2023-11-14

ملخّص

لقد شكلت الكتابة التاريخية في التراث الإسلامي أسّ البحث والدراسة، النظر والاعتبار، التعريف والتعرّف، باعتبار الخبر والرواية هي أبواب ونوافذ نطل بها على صفحات التاريخ البائد، غير أن هذه الكتابة سرعان ما وقعت في موضع اتهام، فبعد انكسار السيوف واضطراب أكُف المعارك، أُقحم القلم في ساحة الصراع والنزاع، ليتولى مسخ وفسخ صورة الخصوم والأعداء، والتنكيل بكل ما يمكِّن من كسر وبتر العدو، وقد جاء ت هذه الورقة لتقف على مفاصل الكتابة التاريخية عند أرباب الفرق والمقالات حول فرقة الخوارج، وتكشف عن مدى استقلالية المتكلم وموضوعيته في تحبير سردياته عن الخصوم والتحرير لمقولاتهم ومقالاتهم، خصوصا إذا وجدنا أن التحبير الكلامي يتوسل دائما أرضية ايديولوجية ونوازع مذهبية، ما يعني تبخر الموضوعية لصالح الاعتبار الفرقي والسياسي، معتمدين في ذلك على المنهج الوصفي، والمنهج التحليلي، والمنهج التاريخي المقارن.

الكلمات المفتاحية: الخوارج؛ المذهبية؛ الملل والنحل؛ التأريخ الكلامي؛ الموضوعية.

Abstract

The historical writing in the Islamic heritage formed the foundations of research and study, consideration and reflection, definition and recognition, considering the news and the novel as doors and windows through which we look at the pages of the defunct history, but this writing soon fell into the position of accusation, so after the swords were broken and the palms of the battles were turbulent, the pen was inserted In the arena of conflict and conflict, to disfigure and dissolve the image of opponents and enemies, and to abuse everything that can break and amputate the enemy, and this paper came to stand on the joints of historical writing by the leaders of the teams and articles about al- khawarij, and reveals the extent of the speaker's independence and objectivity in writing his narratives about opponents and editing their statements and articles.Especially if we find that theological writing always begs for an ideological ground and doctrinal impulses, which means the evaporation of objectivity in favor of sectarian and political consideration, relying on the analytical method, méthode descriptive.

Keyword al– khawarij; denominational; sects and creeds; verbal historiography; objectivity.

* المؤلف المراسل

مقدّمة

لقد سنّ الله الاختلاف بين الناس في هذه المعمورة، ليتحقق معنى التعارف والتعايش كما أقرته الغائية الإلهية، فكان التباين في الأجناس والأعراق واللغات والإثنيات، غير أن هذا الاختلاف قد لا يبدو محمودا ومرضيا عنه إن هو انتقل إلى حقل الاعتقاد، إذ سرعان ما تثار لوعة العنف والنزاع، خصوصا إذا كان على تربة تتنفس الوحيد، ومتعلقة بفكرة الواحد الذي لا يقبل التعدد والتنوع، وهو ما تعكسه تجربة الفرق الكلامية في الإسلام، التي رسمت تاريخا من الصراع الديني احترب فيه الشيخ والمريد، الإمام والتلميذ، مع أن فيصل التفرقة بين حد الكفر والإيمان هو الإيمان والتصديق بالقرآن الواحد والنبي والواحد، خصوصا إذا ما كانت السياسة هي الحلبة والحاكم الذي يرعى النزاع والاقتتال، والعجيب أن أول خلاف وقع لم يكن ردّا لاهتزاز التوحيد، أو تشكيكا في الوحي، أو تكذيبا للنبي، وإنما الحاكمية هي التي تقدمت لتكون مادة الاختلاف، وفاتحة الافتراق والتشظي، لتكشف أمام أشهاد مجتمع النبوة أول فرقة كلامية رفضت مساومة حكم الله بحكم الرجال، بيمينها النص وبشمالها السيف، لتعلن نفسها أول من دخلت سوق الشراء والبيع مع الله (الشراة)، فكان ما كان من الوقائع والأحداث، وأعلن الولاء والبراء بين من عايشوا الرسول صلى الله عليه وسلم ضرا وسرّا، ثم غسلوه وكفنوه، بل إن الشقاق دبّ حتى في خيمة آل بيت النبي، لتتمزق النبوة بين الصهر ابن العم وزوجة الرسول صلى الله عليه وسلم، فتسارعت الأحداث وسرعان ما ابتلع الزمن فرقة الخوارج، تاركين أصحابهم وأتباعهم دون أثر يروي ويربي على مقولات وأصول الجماعة، في حين كان الخلف من على نوافذ التاريخ منتظرا شوقا لأخبار صفين والجمل، وهل علي أصاب فيما فعل؟ أم أن دهاء معاوية هو الفحل؟ أم أن الخوارج هم أصحاب الحق المجلجل! لأنهم أهل نصوص لا لصوص؟ ليتقدم الخصوم نيابة عنهم في رسم صورتهم، وبناء الأحداث والوقائع التي صنعتهم، بل وتدوين معتقداتهم، فأعلن موت الفرقة قبل ولادتها، وتفحمت صورتها قبل أن ترسم، فتضخمت الأخبار وتورّمت السرديات، حتى عانى الحبر والقلم، من الغيبة والبهتة، فتارة نراهم ربيعا بالزهور(أصدق الناس حديثا/ وأولهم خروجا ورباطا)، وتارة نراهم مقبرة بثبور (سفهاء الأحلام/ حدثاء الأسنان)، ولم يكرموا حتى في الجحيم (كلاب أهل النار)، وهذا كله فقط ولأنهم اختاروا الرماية على الرواية، لأن الحنين والشوق الحار لإقامة دولة الله في الأرض أنساهم ترك بصمتهم التاريخية (تأليفا وسردا).

من هنا جاءت هذه الورقة لتستبين المخيال التاريخي الحقيقي والموضوعي الذي يمكن من خلاله تبصرة صورة الجماعة، واخترنا مدونات الملل والنحل، لأنها تجسد قراءة كلامية تفلسف وتعقلن الوقائع والأحداث، باعتبارها تجليات لعقائد مغروسة في الفؤاد تفسر الوقائع من خلالها، فهل كُتّاب الفرق قد تعاملوا مع مقولات الخوارج بموضوعية أم أنهم شكلوا مرآة مجلوة قبل أن تُستدعى الجماعة وتُساءل؟ وهل الكتابة التاريخية تخضع لثنائية الموالي والخصم؟ وكيف لعبت المدونة الحديثية دورا في تحميل محرّري الملل اعتبارات مذهبية وإسقاطات روائية على صفحات الخوارج؟ وهذا ما سعت هذه الورقة إلى الوقوف أو الاقتراب من حقيقته واستكناه حظوظ الموضوعية في الدرس التاريخي عند الفرق الكلامية.

ـ الخوارج في اصطلاح علماء الفرق وأصحاب المقالات (تشظي المعنى وإفلات الحقيقة)

اختلف أهل المقالات وكُتّاب الفرق في ضبط وصف مميز للخوارج، وإن كان أغلبهم يجعل من مصطلح الخروج مربط اتفاق بينهم، وبالتالي فإن الضابط في رسم مفهوم الخوارج قد شهد حالة اضطراب وانفلات من التحديد والضبط، فغاب الإجماع وبالتالي يمكن حصر مجموعة من المعايير التي اقتنع بها مؤرخو الفرق وكتبة التاريخ:

أولا: الاتجاه الأول

الذي جعل من حركة الخروج والانفلات من الحاكم كافيا في إبانة الخارجي من غيره، فالمحدد العملي كاف لتمييز الخارجي من غيره، والتي جعلوها مقولة وأسّ الاعتقاد الخارجي كما نرى فيما بعد:

ـ أبو الفتح الشهرستاني (ت548هـ)

يجعل من الخروج صكا صادرا في حق كل من مرق وانزاح عن صف الإمام الحق في أي زمان وجغرافيا كان، وإليه يُعزى هذا التأسيس المطلق والرسمي لمصطلح (الخروج) يقول في ذلك: "**كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجيا، سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين؛ أو كان بعدهم على التابعين بإحسان، والأئمة في كل زمان.**" (الشهرستاني، 2008، ص92)، غير أن الشهرستاني جعل فعل الخروج مذموما إذا كان على إمام الحق واقعا، أي الإمام المستوفي لشروط الإمامة الشرعية، أي خليفة للمسلمين وليس مغتصبا للسلطة أو حاكما طاغية، فيكون السمع والطاعة له واجبة، والخروج عنه محرم ومذموم، لأن إمامته شرعية، والكلمة مجتمعة عليه، أما إذا افتقد الحاكم لضوابط الخلافة الشرعية فالتمرد عليه لا يعد خروجا بوجهه السلبي المحظور، بل خروجا ممدوحا قد يدخل حتى في دائرة الوجوب كما سيأتي التفصيل في ذلك، وعليه يمكن بهذا أن تدخل فرق أخرى تحت تسمية الخوارج بمجرد أن يتحقق فيها فعل الخروج عن الحاكم أو الخليفة وهو التعريف العام بصورته المطلقة: "**الأمر الذي أدى ببعض مؤرخي الفرق إلى اعتبار الخروج تياراً عاماً يشير إلى كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه،**" (جلي، 1988، ص52).

ولهذا نجد الشهرستاني يسحب هذه الصفة على كثير ممن شقّ عصا الطاعة على الخليفة أو الإمام، إذ نجد جهما بن صفوان من زمرة الخوارج وشعرائهم: "ولنختم المذهب بذكر تتمة رجال الخوارج: ...ومن شعرائهم عمران بن حطان، وحبيب بن مرة صاحب الضحاك بن قيس، ومنهم أيضا: جهم بن صفوان، وأبو مروان غيلان بن مسلم" (الشهرستاني، 2008، ص111). والظاهر أن وقوع جهم بن صفوان تحت مظلة الخوارج كان نتيجة خروجه على دولة بني أمية وتمرده على خلافتهم مسايرا بذلك الحارث بن سريج، الذي أصبح مستشارا له وناشرا لدعوته بعد أن اتصل به في ترمذ "**وأمر الحارث جهم بن صفوان رأس الجهمية- وهو مولى راسب- أن يقرأ سيرته وما يدعو إليه على الناس فلما سمعوا ذلك كثروا وكثر جمعه**" (الجزري، 1987، صفحة 17)، وهو الخروج الذي جنى عليه، إذ أن تصفيته كانت لاعتبارات سياسية بحتة كما تروي كتب التاريخ لا دينية: "**ولما أخفقت**

ثورة الحارث قتل جهم على يد سلم بن أحوز سنة 128هـ/745م. وكان قتله لمشاركته في ثورة الحارث، وللعصبية القبلية التي سادت آنذاك، لا لدعوته في نفي الصفات، والقول بخلق القرآن." (العسلي، 1965، ص67-68).

وهناك من الدارسين المحدثين من انحاز إلى رأي الشهرستاني، بل وجعل قوله حجة معتبرة في إدراك مفهوم الخوارج على شاكلة أبي الوفا الغنيمي التفتازاني: "الخوارج قوم خرجوا على عليّ بن أبي طالب ممن كانوا معه في حرب صفين التي بينه وبين معاوية، ولندع الشهرستاني يظهرنا على ما وقع من خلاف أدى إلى ظهور الخوارج" (التفتازاني، 1990، ص33)، ولما كان تعريف الشهرستاني يتسم بالعموم والشمولية، إذ علّق الخروج على الإمام والحاكم شرطا لاكتساب صفة الخارجي، وهذا ينطبق على أول إمام حق في الدولة الإسلامية وهو الرسول صلى الله عليه وسلم، وانقلاب وتمرّد ذي الخويصرة (الزركلي، 197 ، ص173) على قسمته في الغنائم، التي عدّها قسمة ضيزاوية فخسئت مقالته ومكانته، وفتح باب نبوءة نبوية جعلت صورة الخروج على الجماعة والانشقاق عليها، ميلادها من نسله كما ورد في الحديث (البخاري، 2002، صفحة 713) وهذا كان قبل موقعة صفين، وقبل ظهور الحزب وتكوُّن مقالة الجماعة في النظر والعمل.

ولهذا علّق ابن الجوزي وهو فقيه حنبلي على اعتراض ذي الخويصرة بأن عدّه إمام الخروج، وأبو الخوارج: "فهذا أول خارجي خرج في الإسلام، وآفته أنه رضي برأي نفسه، ولو وقف لعلم أنه لا رأي فوق رأي رسول الله صلى الله عليه وسلم. وأتباع هذا الرجل هم الذين قاتلوا عليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه" (ابن الجوزي، (د.ت)، ص88-89)، وقد عدّها الكثيرون أول حالة خروج في التاريخ الإسلامي تدوّنت في كتب الحديث والتاريخ، وكذا المقالات والفرق، بل عدّ ذلك أول خروج رسمي عن أول إمام حق: "وذلك خروج صريح على النبي عليه الصلاة والسلام، ولو صار من اعترض على الإمام الحق خارجيا، فمن اعترض على الرسول أحق بأن يكون خارجيا" (الشهرستاني، 2008، ص15). غير أن ما يلزم التنبه إليه هو أن الرجل لم يكن يحمل فكرا منجزا متكاملا يشكل أساسا لبناء فرقة تحت مسمّى "الخوارج"، ولا بارعا في الجدل والمناظرة ليسمّى متكلّما حذقا، وإنما مندفعا متعصبا طالبا لدنيا وهي التي كانت سببا في مراجعته للقسمة النبوية للغنائم: "كانت حادثة من نوع حوادث الخوارج صدرت عن رجل لا نسميه خارجيا، رجل لم ينفصل عن الجماعة ولم يؤمن بفسادها ولم يسعَ بعدُ في تكوين حزب أو إنشاء مذهب خاص" (القلماوي، 1945، ص7) فشكّل النواة الأولى تاريخيا، ورسم الصورة الأولى مخياليا لعدم الرضا عن الإمام، والنقمة على تصرفاته التي تلقى الإجماع والطاعة.

فتمرد ذو الخويصرة لم يكن على مرسوم اعتقاد، وإنما فعل خليفة، وإجراء إمام (صلى الله عليه وسلم): "لا شك أن هذا الرجل مثّل باعتراضه التشدد والتعصب اللذين كانا من أهم مميزات الخوارج أول ظهورهم. وهذا الخروج على الإمام اعتراضا على سياسته يشابه في كثير خروج الخوارج على عليّ لسخطهم على سياسته" (القلماوي، 1945، ص5)، وبهذا يكون الشهرستاني قد استطاع أن يضع تعريفا سنيا أشعريا للخوارج ينصرف فيه الخروج في معنى سياسي: "والذي استطاع أن يحدد

لنا مفهوم الخوارج عند أهل السنة والجماعة وخاصة الأشاعرة إنما هو الشهرستاني... فالخروج عنده ينصرف إلى المعنى السياسي وهو الخروج عن الإمام الشرعي الذي انتخب، واتفق عليه، وبذلك يكون خروجا على اتفاق الجماعة أيضا" (الطالبي، 2013، ص23-24).

ثانيا: الاتجاه الثاني

والذي ضم حدّ التكفير إلى جانب حدّ الخروج. فقد جعل أصحاب هذا التعريف حركة الخوارج ذات ماهية محددة بزمكانية تاريخية معينة وهي موقعة صفّين، فمن خرج عن جيش عليّ كان خارجيا، ومن كّفر أهل صفين منهم كان كذلك، وقد عدّوا ذلك ضابطا في تعريف الخوارج. فجمعوا بين محددين نظري وعملي: "وهو من جعل وصف الخوارج عائداً إلى مركب التكفير والقتال، ولكن على حصر كلا الطرفين في صورة معينة، فجعل وصف الخوارج مجموعاً من تكفير أهل الكبائر، والخروج على الإمام الشرعي" (العجيري، 2017، ص200).

ـ أبو الحسن الأشعري (ت324هـ)

من أقدم مؤسسي الخطاب السني لمفهوم الخوارج، كطائفة بارزة في صدر الإسلام، وكأقلية شفطتها اندفاعية الباطل لتخالف الأغلبية الحائزة على الحق والمجتمعة على كلمته، فالموقف السياسي أضحى محور أغلب تعريفات أهل الفرق سيرا على خطى الأشعري ومن جاء بعده، بل إنّ حركة التمرد على الخليفة الشرعي قد سبقت حتى الآراء والمواقف العقدية للخوارج في تحليلات كتب المقالات والفرق. فها هو الأشعري في "مقالات الإسلاميين" يقدم الخروج على مقالة القوم في الاعتقاد والعمل، إذ ينهض الأشعري بذكر أسباب التسمية وكأنها ضابط يمكن الالتزام به لمعرفة وفهم معنى الخوارج: "وخرجوا عليه فسموا خوارج، لأنهم خرجوا على عليّ بن أبي طالب- رضوان الله عليه! " (الأشعري، 2017، ص55)، ثم يستدرك فيما بعد ذاكرا مقالة الخوارج كمفهوم يلصق التكفير بهم بصورته الضيقة (تكفير عليّ وعثمان) أو صورته الواسعة (تكفير مرتكب الكبيرة) كصفة ملازمة لهم، ليجمع بين المحدد الفكري والعمل، وهذا الضابط نفهمه من قول الأشعري: "جماع رأي الخوارج: أجمعت الخوارج على إكفار عليّ بن أبي طالب- رضوان الله عليه! – أن حَكّمَ، وهم مختلفون هل كفره شرك أم لا؟ وأجمعوا على أن كل كبيرة كفر، وأجمعوا على أن الله- سبحانه! يعذّب أصحاب الكبائر دائما" (الأشعري، 2017، ص140).

ويظهر أن فعل الخروج أخذ معنى نسبيا تحدّد في واقعة تاريخية خاصةّ، وزمن معين، بخلاف الشهرستاني الذي ألبس الخروج ثوبا مطلقا شاملا، فلا تنسحب تسمية الخوارج في شقها العملي إلا على أصحاب موقعة صّفين، كتمثّل تاريخي معين ومخصوص: "ومهما يكن من شيء فإن اسم الخوارج في معناه الأول الذي يشير إلى الانشقاق ومفارقة الجماعة، أصبح الاسم السائر على هذه الجماعة" (جلي، 1988، ص52)، وقد سار على دربه الكثير من المؤرخين في العصر الحديث على شاكلة مرتضى العاملي في دراسته لتاريخ الخوارج، والذي اعتبر المحدد الزماني والمكاني مهما في معرفة حقيقة وتاريخ هذه الحركة: "الخوارج: فرقة ظهرت في النصف الأول من القرن الأول الهجري، وبالتحديد في مناسبة حرب صفين" (العاملي، 2002، ص113)، بخلاف القول بالتكفير الذي تميز

باصطلاح مطلق متمدد وشامل عبر الزمن والتاريخ، فبحسب المقالة يدخل في الدائرة الخارجية كل من أصدر صك الكفر في حق عليّ وأتباعه، وحكم بكفره وكفّر كل مرتكب للكبيرة: "**ويلزم من هذا التقرير أن من لم يلتزم بهذا الأصل، وتحرّر من هذا الإشكال، فهو بريء من هذا الوصف**" (العجيري، 2017، ص197).

وبهذا الاصطلاح الأشعري نكون أمام نوعين من الخوارج، خوارج التأسيس المرتبط بمدلول عملي وهو الخروج (بلحاظ الزمان والمكان التاريخي الذي ارتبط بالظهور والنشأة)، والذي قد يكون عليه شبه إجماع مطلق باعتبار التأسيس المركزي في بعده الأنطولوجي لمقولة الخروج عن الحاكم أو الإمام، والتي شكلت النواة الأولى في توليد المقدمات الكلامية المنتجة للخطاب والممارسة: "**يتفق المؤرخون القدامى على التأريخ للحركة الخارجيّة ابتداءً من معركة صفّين التي وقعت سنة 37هـ**" (البكّاي، 2001، ص11)، وخوارج التقليد المرتبط بمدلول نظري وهو: التكفير والخروج كقاعدة كلامية نظرية وبالتالي يضم تحته هذا التعريف كل الخوارج الذين سيظهرون ما إن يجتمع فيهم التكفير والخروج: "**ويشمل ذلك: الخوارج الأولين (المحكّمة الحرورية)، ومن تفرع عنهم ... كما يشمل اسم الخوارج كل من أخذ بأصولهم وسلك سبيلهم،**" (عقل، 1998، ص21).

- ابن حزم الأندلسي (ت365هـ)

يعتبر كتاب " الفصل في الملل والأهواء والنحل" أهم وثيقة وأكبر مدونة في تاريخ مكتبة المقالات والفرق، يقول ابن حزم: "**ومن وافق الخوارج في إنكار التحكيم، وتكفير أصحاب الكبائر، والقول بالخروج على أئمة الجور، وأنّ أصحاب الكبائر مخلدون في النار، وأن الإمامة جائزة في غير قريش فهو خارجي**" (الظاهري، 1996، ص270) هذا التوصيف الحزمي يجعلنا بقراءة متأنية نجمع صفات جامعة مانعة لمفهوم الخوارج، فأول ما ابتدأ به الموقف السياسي، قبل أن يُعَرِّج إلى ذكر الموقف الديني والذي له علاقة أساسية بمسألة الحاكمية والتي هي قضية سياسية بامتياز. فالتكفير انصب على أصحاب الجمل من الجبهتين، قبل أن يجعلوه قاعدة مذهبية ساقطة على أهل المعاصي والكبائر من المسلمين، فجمعوا بين صرامة سياسية وصرامة اعتقادية، فالإنكار لتحكيم الرجال، والتمرد على قبول ورضا عليّ رضي الله عنه بذلك شكّل موقفا سياسيا أسس لقواعد شرعية، إذ ابتدأ بالخروج وانتهى بالتكفير، فكانت بحق مرحلة تأسيس وبناء المدونة الفرقية، القائمة على المبايعة والاتفاق: "**والأكيد أن هذا الحكم الشرعي أخذ بعدا سياسيّا وخاصة دينيّا إذ كان المنطلق لصياغة عقيدة دينيّة أو بل عقائد دينيّة كانت متصارعة فيما بينها ولكنها كانت متفقة في الأصل**" (قوجة، 2014، ص9) ، ليؤخّر مقولة الخروج والتي تعدّ أصل الأصول في الاعتقاد الخارجي، وإجراء ثوري تمرّدي (عملي) سبق ارتسام المدونة الخارجية القلقة (**لم يظهر بوضوح الاعتقاد الخارجي إلا بعد حالة مخاض وتشكل شهدها التنظير والعمل الخارجي مصحوبة بمجموع تحولات عملية ونظرية**): "**لأنّ القوم في القرنين الأوّلين كانوا مقاتلين، قبل أن يكونوا أصحاب فكر، وكانوا ثوّاراً في وجه الحكومات، قبل أن يكونوا فرقة دينية تتبنّي أُصولا عقائدية، والإمعان في المبدأ الذي اتّخذوه كحجر زاوية (تخطئة التحكيم) أو الأُسس التي تبنّوها في العهد الأموي، أي بعد استيلاء معاوية على**

الحكم، إلى عهد عبد الملك بن مروان (ت75هـ) إلى آخر الدولة المروانية (132هـ) يعرب عن أنّ القوم لم يكن لهم يوم ذاك فكر كلامي ولا فقهي، (السبحاني، 1428هـ، ص405).

ويجمع ابن حزم في تعريفه المحددين الفكري (التكفير) والعملي (الخروج)، لكن الملاحظ أنّ تعريفه يراعي المسار التطوري لفكر الخوارج، فدائرة التعريف واسعة تكاثّرت معها خطوط التوصيف العقدي الخارجي، فالمدونة الخارجية قد شهدت نوعا من التغير والتحول بحسب الشروط التاريخية والجغرافية والسياسية، أي رسم صورة عن الخوارج ما بعد اللحظة التأسيسية التاريخية، وعليه فإن الموقف السياسي قد تميز بالثبات وبه عرفوا وتميزوا نشأة ونضجا واكتمالا وهو: قول الخروج والثورة الصادعة على الإمام المنحرف حسبهم: "يرتبط ظهور الخوارج كحزب سياسي بقضية الإمامة أو الخلافة، وهي قضية أثارت من الجدل بين القدماء والمحدثين، ومن الصراع الدموي بين المسلمين ما أحدث صدعا في كيان الأمّة الإسلامية" (إسماعيل، 1997، صفحة 1)، فقضية التحكيم تعامل معها الخوارج كقضية سياسية تترتب عنها مواقف دينية صارمة، فكان شعارهم "لا حكم إلا للّه"، "والخوارج هم الذين خرجوا عليه وحَكَّموا (بتشديد الكاف) أي قالوا: كيف يحَكِّم (بتشديد الكاف) الرجال في أمر اللّه عز وجل: لا حكم إلا للّه " (سليم، 2007، ص21).

غير أن ابن حزم في تعريف آخر للخوارج نجده يحمّل هذه الفرقة معنًى سلبيا، وهذا ليس بغريب على التعريفات الفرقية التاريخية، إذ نجده يسلب عنها صفة الانتماء إلى الإسلام، ويعتبر ذلك من المزاعم والتوهمات: "فرقة قديمة محسوبة على الإسلام، مغالية في معتقداتها الدينية، ظهرت في السنوات الأخيرة من خلافة الصحابي عثمان بن عفان (رضي اللّه عنه) اشتهرت بالخروج على عليّ بن أبي طالب (رضي اللّه عنه) بعد معركة صفّين سنة 37هـ؛ لرفضهم التحكيم بعد أن عرضوه عليه" (دسوقي، 2020، (مجلة كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية)، ص2199)، ولم يظهر التصور العقدي المتمثل في التكفير، فانحصر مفهوم الخوارج في الإطار السياسي ممثلا في الخروج والتمرّد، والواقع أن الماهية الخارجية ذات أمشاج سياسية وشرعية، فمسألة الحاكمية قد ترتبت عليها حزمة أحكام رسمت الصورة العقدية عند الجماعة: "وتعاليم الخوارج منذ ظهورهم مزيج من السياسة والدين، فشعارهم (الحكم للّه) شي يمتزج بالدين والسياسة معاً، فلا يصحّ والحالة هذه أن يقال: إنّ دعوتهم هذه كانت دينيّة محضة أو سياسية محضة" (السبحاني، 1428هـ، ص271).

لم يكن ابن حزم ممن شهد موقعة صفِّين ولا الجمل، ولا ممّن عاصر القراء وأهل النهروان، ولم يشهد حكم بني أمية، فلم يجد إلا سبيل النقل في ذكر مقالة "الخوارج"، مستندا إلى ما حرّره أسلافه المهتمين بالملل والنحل مما يؤكد: "أنه أخذ عمّن تقدمه من كُتاب الفرق" (السابعي، 1999، ص50)، من هنا ننتهي إلى أن المعايير التي اعتمدها هذا الاتجاه في المقاربة الدلالية لحد الخوارج تتحدد في: الخروج /التكفير، هما محدد نظري ومحدد عملي.

ـ عبد القاهر البغدادي(ت429هـ)

يستند البغدادي في نحته لمفهوم الخوارج إلى خبرين مبنيين على مقالة الجماعة في النظر والعمل: أحدهما من مذهب الاعتزال فيكون الكعبي حاكيا به: "فذكر الكعبي في مقالته أن الذي

يجمع الخوارج على افتراق مذاهبها: إكفار عليّ، وعثمان، والحكمين، وأصحاب الجمل، وكل من رضي بتحكيم الحكمين، والإكفار بارتكاب الذنوب، ووجوب الخروج على الإمام الجائر" (البغدادي، 2016، ص51"، وينبني التعريف على أهم مقولتين في التنظير والممارسة الخارجية وهما: الخروج/التكفير، كما يلعب المحدد الزمني دورا بارزا في نظم ماهية الخوارج، فالخلافة العلوية هي ميلاد الحزب الخارجي نظرا وعملا، كما يلعب المحدد المكاني أيضا دورا مركزيا فموقعة صفين والجمل أصبحتا عامل تأثير مهم في تعريف الخوارج، ثم يقابل البغدادي تعريف المعتزلي الكعبي بتعريف شيخ الأشعرية أبو الحسن، فيركن إلى انتقاء تعريف يراه موضوعيا وواقعيا للخوارج ويورد ذلك في قوله: "وقال شيخنا أبو الحسن: الذي يجمعهما إكفار عليّ، وعثمان، وأصحاب الجمل، والحكمين، ومن رضي بالتحكيم وصَوَّب الحكمين أو أحدهما، والخروج على السلطان الجائر"، ولم يرض ما حكاه الكعبي من إجماعهم على تكفير مرتكبي الذنوب" (البغدادي، 2016، ص52).

ومبرّر ذلك عنده أنه ليس كل فرق الخوارج تتفق على تكفير مرتكب الكبيرة: "والصواب ما حكاه شيخنا أبو الحسن عنهم، وقد أخطأ الكعبيُّ في دَعوَاه إجماع الخوارج على تكفير مرتكبي الذنوب منهم" (البغدادي، 2016، ص52)، إلا أن تخطئة البغدادي للكعبي في ادعائه اجتماع جميع الخوارج في تكفير مرتكبي الذنوب ينقضه في كتابه "الملل والنحل" حين يقرر أن: "الخوارج على اختلاف فرقها، يجمعها القول بتكفير عليّ، وعثمان، وطلحة، والزبير وعائشة، وجيشهما، وتكفير معاوية وأصحابه بصفين، وتكفير الحكمين ومن حكّمهما، أو رضي بحكمهما، وتكفير كل من ارتكب كبيرة، ووجوب الخروج على السلطان الجائر، وإن كان على رأيهم" (البغدادي، كتاب الملل والنحل، (د.ت)، ص58).

وما يلاحظ في تعريف البغدادي أنه قائم على النقل والتقليد، إذ أنه يثبت وفاءه وولاءه للمشيخة الأشعرية، فيفضل تعريف أبي الحسن على تعريف أهل الاعتزال ممثلا في الكعبي: وبمقارنة التعريفين نجد شبه تطابق بين التحديد الأشعري والاعتزالي باستثناء شجب أبي الحسن لخاصية تكفير أهل الكبائر، فلم يجعله محدّدا من المحدّدات الماهوية، فاقتصر على المحدّدين السياسي (الخروج) والديني (التكفير باستثناء أصحاب الذنوب)، ليكتسب نوعا من القبول والمشروعية والتداول الأكبر في الدوائر الدينية والسياسية: "ولكي يصبغ أولئك المؤرخون هذه التسمية باللون المقبول، ربطوا المعنى السياسي لكلمة الخروج بالمعنى الديني،" (معمر، (د/س)، ص14). وهنا يلاحظ غياب التأسيس البغدادي لمفهوم الخوارج، فكان ذاتا ناقلة تبتغي المقارنة بنية المفاضلة الموجهة بالإيديولوجية الأشعرية، بتعليل لا يرتقي لمستوى كسر تعريف على حساب الآخر، فالتكفير يعتبر البؤبؤ الذي ترى به العين الخارجية سواء تمدّد ليمس أهل الذنوب، أو انحصر ليلتصق بأصحاب صفين (جيش عليّ وجيش معاوية).

إن الضابط الذي ارتضاه البغدادي ضابط سياسي ممثلا في الخروج على الإمام المتفق عليه، وضابط اعتقادي ممثلا في التكفير إلا التكفير بالمعاصي، فالمنطلقات العقدية عند الخوارج بحسب الرسم الأشعري لم تصدر صك التكفير في حق أهل المعاصي، لكن الاستدراك البغدادي في كتاب

"الملل والنحل" يبين حالة من الاضطراب، والتشظي، وكأن المفهوم منفلت من الضبط، إذا الخروج + التكفير لأطراف النزاع وأهل المعاصي = خارجي: "ولازم هذا أن كل من لم ينطبق عليه هذان الوصفان فليس بخارجي، ولا ينتمي إلى فرقة الخوارج" (الزهراني، 1433هـ، ص475). من هنا نخلص إلى أن البغدادي قد جعل مادته الأساسية من "مقالات الإسلاميين " للإمام الأشعري، كما لم يتحرج من الاستناد إلى أقوال المعتزلة وهم له خصوم فتنعدم الموضوعية وتمامية التحرّي كما ذهب إلى ذلك بعض الدارسين معلّقا على كتاب "الفَرْقُ بين الفِرَق": "فيبدو أنه أقل تحرياً ودقة. وقد استفاد البغدادي من مقالات الأشعري في هذا المجال، ويظهر جلياً أن أغلب مادة البغدادي في موضوع الخوارج من هذا الكتاب، فإنّ التشابه بينهما في المضمون بل والعبارة شاهد على ذلك. كما نقل قليلا عن أبي القاسم عبد الله بن أحمد الكعبي"(السابعي، 1999، ص49-50).

ومن الملاحظ أنه في كثير من الأحيان ينقل عن أخبار وآراء الخوارج وفرقها من شيوخه، فجاءت تلك المعلومات متشابهة في الغالب يلعب فيها النقل والتقليد دورا كبيرا، بل هناك من حكم على مدونته بفقدان الدقة والتحري: "وأما كتاب البغدادي (ت429 هـ/1037م) (الفرق بين الفرق)، فإنه يبدو أقل تحريا ودقة. وقد استفاد البغدادي من مقالات الأشعري، ويظهر جليا أن أغلب مادة البغدادي في موضوع الخوارج من هذا الكتاب، لأن التشابه بينهما في المضمون بل وفي العبارة شاهد على ذلك" (محي الدين، 2008، ص28).

- أبو المظفر الإسفراييني (ت471هـ)

لقد تردّدت نفس المحددات العملية والنظرية عند الإسفراييني، فيما سماه هو بالفضيحة، جامعا بذلك الموقف العملي والنظري لدى الخوارج الذي ساقهم حسبه إلى الكفر والابتداع: "اعلم أن الخوارج عشرون فرقة كما ترى بيانهم في هذا الكتاب، وكلهم متفقون على أمرين لا مزيد عليهما في الكفر والبدعة: أحدهما أنهم يزعمون أن عليا وعثمان وأصحاب الجمل والحكمين وكل من رضي بالحكمين كفروا كلهم. والثاني أنهم يزعمون أن كل من أذنب ذنبا من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فهو كافر ويكون في النار خالدا مخلدا، ومما يجمع جميعهم أيضا تجويزهم الخروج على الإمام الجائر" (الإسفراييني، 1983، ص35). لقد سار الإسفراييني على التعريف الذي اختاره كثير من علماء الفرق، فوصفهم بأنهم أولئك الخارجين على الإمام عليّ رضي الله عنه ومن سار معه في قبول التحكيم: "فأطلق على كلٍّ من خرج على الإمام عليّ (ع)" (عبد الرحمن، 2007، ص139)، ملصقين بهم صفة الكفر، فجمعوا بين نظر وعمل، كما كفروا أهل الذنوب من المسلمين، وخلدوهم في النار، وجعلوا الخروج على الحكام الجائرين فرض عين، فالخروج هو قطب الرّحى في الاعتقاد الخارجي، والتكفير هو أسُّ حركتهم والذي "بقي رديفا للفظ الخوارج عند المؤرخين وغيرهم." (السابعي، 1999، ص136).

لقد كانت قراءة الإسفراييني موجهة بمنطق الفرقة الناجية، ومشحونة بعاطفة فرقية ومذهبية حسمت موقفه وقراءته التاريخية للفرق الكلامية: "ويطلقها فريق من المتكلمين في أصول العقائد والديانات، وهم يقصدون بها الخروج من الدين، استنادا إلى قول رسول الله صلى الله عليه

وسلم «إنَّ ناسًا مِن أُمَّتِي يَمرُقُونُ مِنَ الدِّينِ مُرُوقَ السَّهمِ مِنَ الرَّمِيَّة»" (معمر، 2008، ص24)، فنجده يبتدئ تعريفه بتقسيم فرقة الخوارج إلى عشرين فرقة، لأن حديث الفرقة الناجية حمل مقولة عددية مهمة، إذ أن تعداد وحصر الفرق له قيمة مركزية في وضع ذلك الخط الفاصل مقالا ومقاما فيما بين الفرق الضالة والفرقة الناجية من افتراق وانفصال، مع أنه لم يبين الضابط الذي انقسم فيه الخوارج إلى ذلك العدد بالضبط والتحديد، ولماذا لم يكن أقل أو أكثر؟ ولم يكن له من سبيل إلى ذلك إلا تقليد شيوخه من الدائرة الأشعرية، فقد كان لمقالاتهم وتحبيراتهم بالغ التأثير في التأليف والتبويب والترتيب: "فالمؤرخ الإسفراييني كغيره من المؤرخين، والمطلعين على مؤلفات غيره وأخذه إياهم قدوة في تهذيب وتأليف الكلام...كما نجد اتفاقا بين كتاب البغدادي (الفَرق بين الفِرَق)، وبين (التبصير) في تقسيم الفِرَق، فمثلاً: في تقسيم الأبواب والفصول، بالإشارة إلى تقسيم الفرق وترتيبها، وأيضا في تقسيم الخوارج إلى عشرين فِرقة عند البغدادي، وعند الإسفراييني...كما أن أثر كتاب (الفَرْق بين الفِرَق) ترك أثرا كبيرا في نفس الإسفراييني" (زيد، 2008، ص61)، ثم يجعل من الإمامة العثمانية فاتحة ظاهرة الخروج، كجماعة ناقمة وغير راضية على تسيير شؤون الدولة الإسلامية، غير أن مفهوم المروق والتكفير والخروج كمقولات تأسيسية دينية لم تبد للعيان كما يرى حسن حنفي لأن جيل القراء لم يكن بعد قد تأسس حزبا سياسيا وفرقة دينية لها أصول وقواعد ومنهج فهم للنصوص، وإنما هي مواقف ذات أمشاج قبلية/ عرقية/ سياسية: "فلم يزعم الذين اختلفوا على خلافة أبي بكر، ولا الذين اصطرعوا حول تصرفات عثمان بن عفان أن واحدا من فرقاء هذا الصراع والخلاف قد مرق عن الدين، أو أن الإسلام كدين، قد أصبح وقفاً على موقف فريق دون فريق...كان خلافا سياسيا أو قبلياً وصراعاً اجتماعياً أو إقليمياً قام ويقوم بين أبناء الدين الواحد وأهل القبلة الواحدة، دون أن يزعم طرف من أطرافه أن له صبغة من الدين..." (حنفي، 1986، ص663).

لكن إذا أردنا أن ننطلق من لحاظ لغوي نجد أن الدلالة البينة والمقصودة من الخروج: هي التمرد والإنكار والثورة على الإمام الحق، والخليفة الشرعي فذلك ابتداؤه من حرقوص ذي الخويصرة يوم انتفاضته على القسمة النبوية للغنائم، وهي القسمة العادلة من المعصوم ووسيط الوحي: "وذلك خروج صريح على النبي عليه الصلاة والسلام، ولو صار من اعترض على الإمام الحق خارجيا، فمن اعترض على الرسول أحق بأن يكون خارجيا" (الشهرستاني، 2008، ص15)، إن إطلاق الإسفراييني لتسمية الخوارج كان يحمل مدلولا دينيا وسياسيا يجمع بين الخروج والتكفير، حذو النعل بالنعل مع سابقيه، فأصبح المصطلح يحمل إطلاقا تاريخيا أدبيا دينيا سياسيا، فهي واقعة على الخوارج دون غيرهم، وهكذا تدشّن مفهوم للخوارج في مطلق التساوق والاندماج "مع المواقف السياسية والمذهبية الرسمية " (بوعجيلة، 2006، ص39).

غير أن فكرة المكان كان لها دور بارز في توجيه مقالة ومسيرة القوم، فإلغاء ورفض الحكم تبعه رفض المكان وإلغاؤه، وبالتالي فإن الجغرافيا قد شكلت مقولة أساسية في تناول مفهوم الخوارج، إذ لم تنفك أرض "صفين" و"حاروراء" و"النهروان" في أن تكون من كليات الماهية الخارجية:

"مؤكدة بذلك القيمة الكبيرة التي يكتسيها مكان الإقامة بالنّسبة لها. وقد بدأ يتبلور منذ تلك اللحظة مفهوم (الخروج) بمعنى مفترقة المكان الّذي يقيم فيه المخالفون وهو الّذي ستتبنّاه المجموعة بعد رجوعها إلى الكوفة وستطبّقه بالخروج إلى النهروان" (البكّاي، 2001، ص29)، وهنا يكتسب المكان قيمة وأهمية بالغة عند القوم، فهو رمز للتمرد والتميز والانقلاب، وعنوان لقطيعة مع نمط من الوجود والتدين: "فإن كل قرار وجودي بالنسبة للإنسان المتدين، قرار (الإقامة) في المكان، يشكل قرارا (دينيا). وباضطلاعه بمسؤولية (خلق) العالم، الذي اختار الإقامة فيه" (إلياد، 2018، ص63). فتجربة الخروج حملت معالم الهدم لما يتعارض مع فهم الجماعة للوقائع والأحداث، ثم البناء بتقديم تصور نظري والعمل على تطبيقه وفق مقتضيات كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام.

لقد تعددت القبلة المُتولاة من قبل المؤرخين في تداول مفهوم الخوارج، حيث غلب عليها الذم واللمز عند أغلب أصحاب المقالات والفرق، فقراءتهم كانت مؤدلجة قائمة على إسقاطات مستمدة من المدونة الحديثية، لقد غذّت الأحاديث النبوية التي وصّفت لخصائص ومميزات الطائفة المعروفة بالخروج على أئمة الحق أصحاب البيعة الشرعية وتكفيرهم، فسهل على المؤرخين بشتى أصنافهم وبتعدد مذاهبهم وإيديولوجياتهم تناول فرقة الخوارج، بما أن القالب التوصيفي التعريفي جاهز ومسبوك، وهو ما استبطنته أغلب كتب الحديث التي جاء فيها ذكر الخوارج بدرجة عالية من الصحة، وقد اتخذوا كلام الرسول صلى الله عليه وسلم كوصف كلّي للفرقة المارقة: "وقد رواه المحدّثون في صحاحهم ومسانيدهم وأطبق على نقله الفريقان، فلا يمكن لمحدّث واعٍ إنكاره، ولا التشكيك في صحة أسانيده" (السبحاني، 1428هـ، ص273)، فاستحقوا الذم واللعن، فكانوا الفرقة المارقة عن الدين، وكلاب النار، وأرباب الغلو والتشدد في الدين، ونصب العداوة للمسلمين والفتك بهم، بدل الكفار والمشركين: "وسبب الإشكالية في هذا الأمر الربط الحاصل بين الخوارج- باعتبارهم فرقة- وبين الأحاديث المحمولة عليهم" (السابعي، 1999، ص146)، وقد كانت عين الإسفراييني ناظرة في عورات الجماعة كخصوم، بل إنهم من الملة خارجون: "ومن ثَمَّ فإن الخوارج في رأيه لا ينطبق عليهم اسم الجماعة، ولا يشملهم، لأنهم لا يرون الجماعة" (الطالبي، 2013، ص23).

ـ فخر الدين الرازي(ت606هـ)

يجمع الرازي شتات صفات الخوارج في تعريف شامل يجمع كل فرق الخوارج المختلفة: "سائر فرقهم متفقون على أن العبد يصير كافرا بالذنب، وهم يكفّرون عثمان وعليًّا رضي الله عنهما، وطلحة والزبير وعائشة. ويعظمون أبا بكر وعمر رضي الله عنهما" (الرازي، 1982، ص46)، لقد أبان فخر الدين عن المشترك العقدي المتمثل في التكفير كقاعدة إيمانية نظرية يتفقون عليها، وحجب الأصل العملي المتمثل في الخروج الذي يكتسب معنًى سياسيا، وعلى خطى أرباب مدرسته وشيوخه يجعل من الإمامة العثمانية ميلاد الحزب الخارجي دينا وسياسة، كما أنه يقدم المحدّد النظري على المحدد العملي، فأعطى لمقولة التكفير السبق على مقولة الخروج، لقد أخذت الخوارج بهذا المعنى موقفا ثوريا تمرديا ضد إمامة عثمان بن عفان وعليّ بن أبي طالب رضي الله عنهما، لكن طبيعة

التمرد والخروج يختلف بين إمامة عثمان وعليّ، فالذين نقموا على عثمان أخذوا عليه سوء تسيير شؤون الدولة الإسلامية، ولم تأخذ الفتنة بعدا سياسيا وصراعا عقديا تُضرب عليه الأعناق، وتنقسم فيه الجيوش، ويتفرق به المسلمون، بل يمكن أن نؤكد وكذا نستنبط أن ذلك لا يمثل خروجا بالمعنى الذي سيتم التعارف عليه يوم التحكيم، بل نؤكد أن القبلية والعصبية والعرقية والإثنية كانت وراء الفتنة التي انتهت بتصفية الإمام الشرعي، لا فهم نص أو تأويل آية او استنباط حكم شرعي، فتقليم أظافر المدّ الأموي القريشي كانت وراء خروج وثورة تلك الجماعة. فهل تستحق بذلك اسم الخوارج بحده العقدي والسياسي؟ "وإنكار التحكيم هذا إنما ميزهم عن غيرهم ممن أنكر على عثمان سيرته وشارك في الفتنة لغرض غير غرضهم وأسباب تختلف عن أسبابهم." (النعيمي، 1967، ص31).

غير أن كتب التاريخ، وحتى أغلب الباحثين والدارسين يجعلون من القراء نواة للخوارج، وهذا المصطلح يجعلنا نتعجب! فلم يتردد في كتب الفرق والمقالات أن القراء الذين كانوا موجَّهون ـ كما يرى محمد عمارة ـ بـ"الضمير الديني" قبل "الضمير السياسي" هم بذرة شجرة الخوارج التي تبدَّى طلعها منذ تولِّي عثمان رضي اللّه عنه الخلافة: "وكان للقراء، الذين بدأت بهم فرقة الخوارج، دور ملحوظ في أحداث الثورة التي شبت ضد حكم عثمان بن عفان بسبب الأحداث التي وقعت منه ومن أعوانه، وخاصة بني قرابته الأمويين، وبعد مقتل عثمان كان هؤلاء (القراء) من أكثر أنصار عليّ بن أبي طالب... فكان أن رفضوا ما قبل به عليّ من (التحكيم) بينه وبين معاوية في النزاع... فصاحوا في جنبات معسكر عليّ بصفين صيحتهم الشهيرة: «لا حكم إلا للّه!.» فعرفوا [بالمحكمة] منذ رفضهم لقرار (التحكيم) في شهر صفر سنة 37هـ.." (عمارة، 1997، ص11-12).

ويتفق تعريف الرازي مع تعريف الإسفراييني، غير أن الرازي يسحب مقولة الخروج من تعريفه ويستبقي قاعدة التكفير، وكأنه يستحضر المقدمة ويترك النتيجة التي هي تحصيل حاصل، فتكفير الإمام أو الحاكم يستلزم لا محالة سحب الشرعية منه والإذن بالخروج عليه، فالتكفير هو أس الخروج وروحه، وأخذ التكفير مع الرازي صورتان: تكفير الأئمة والخلفاء كعثمان وعليّ وأشهاد التحكيم ممن رضوا به، وتكفير أهل الذنوب من المسلمين، وهذا ما تنبه له القاضي ابن العربي المالكي صاحب "العواصم من القواصم "حين قرّر أن: "الخوارج صنفان: أحدهما يزعم أن عثمان وعليًا وأصحاب الجمل وصفين وكل من رضي بالتحكيم كُفّار، والصنف الآخر يزعم أن كل من أتى كبيرة فهو كافر مخلد في النار أبدًا" (القسطلاني، 1996، ص348). إن تعريف الرازي لم يكن موجها لتحديد النشأة والميلاد، وإنما لتبيان المعتقد والمقرر الكلامي المتفق عليه عند الخوارج بتعدد فرقها.

خاتمة ونتائج الدراسة

أحدث مفهوم الخوارج حالة من الارتباك والتشظي بين أصحاب الفرق والمقالات، فانفلت هذا المصطلح من الضبط والتحديد الذي يتحقق معه الاتفاق، فجاءت كل مدونة ترسم مخيالا تاريخيا إما بتوسل النقل أو التقليد، أو إسقاط نقليات نصية (قرآنا وسنة) على الجماعة، ومرد ذلك لأسباب على رأسها الإيديولوجيا والمذهبية المتخاصمة مع الموضوعية والنزاهة، إذ لم يرتهن هذا المصطلح منذ تفتقه بتصور عقدي كلامي خاص، بل إنه ببيت السياسة قد وُلد، فالخروج هو الرحم الذي استجن فيه هذا المصطلح، وعليه فإن المصطلح والمفهوم جاء ليعبر عن فرقة ذات امتياز وفرادة عملية وعقدية، فكانوا حالة كلامية وحالة سياسية، غير أن الصورة الحقيقية للخوارج جاءت في أشكال خطابية مضطربة لدى مؤرخي الفرق.

لقد غابت المدونة الخارجية الأصيلة عند أرباب الفرق، إذ يجمع المؤرخون على غياب تراث الخوارج ومكتباتهم الكلامية، باستثناء ما تردّد شفاهة حول أخبارهم وسيرهم، والأحداث التي عاشوها، فتناقلت أخبارهم، وغابت آثارهم، فدسّ الخصوم من رواياتهم كثيرا من البهتان والزور، وأنقصوا وطمسوا من مناقبهم وحسناتهم ما يخدم المصالح والمذهبية، وهذا ما اعترف به ابن النديم من أن القوم كانوا أكثر الجماعات مرمى للعداوة والقدح والإنكار معترفا بذيوع صوت مقالة وقول القوم: "هؤلاء القوم كتبهم مستورةٌ، قل ما وقعت؛ لأن العالم تشنأهم، وتتبعهم بالمكاره، ولهم مصنفون ومؤلفون في الفقه والكلام. وهذا المذهب مشهور بمواضع كثيرة" (النديم، الفهرست، (د.ت)، ص329)

إن المذاكرة التاريخية لفرقة الخوارج ليس بالأمر الهين ولا السهل، خصوصا عندما تتناول جماعة دينية مفقودة الأثر، ومنسية الخبر، فلا الموالي أنصف القوم، ولا القارئ والباحث قد أمعن النظر، ومحّص الرواية لنقل الخبر، فتداعت صورة متنوعة تاهت فيها الحقيقة وربما انطمست، فلا الكتابة ولا التحرير ولا القراءة كانت مستقلة، فاللاوعي الايديولوجي قد قاد المؤرخ والقارئ نحو المغامرة بحجب الحقائق التاريخية، خصوصا عندما تكون مادة البحث والدراسة هي فرق الخوارج المقذوفة عبر التاريخ في دائرة الحظر الفكري والديني.

قائمة المراجع

1. جلي،أحمد .(1988) . دراسة عن الفرق وتاريخ المسلمين« الخوارج والشيعة » (ط .2). م ع س: مركز الملك فيصل للدراسات والبحوث الإسلامية
2. اسماعيل، محمود .(1997) .الحركات السرية في الإسلام (ط.5). القاهرة- بيروت :سينا للنشر- الانتشار العربي
3. الاسفراييني، أبو المظفر. (1983) .التبصير في الدين (ط.1). بيروت :عالم الكتب.
4. الأشعري، أبو الحسن .(2017) .مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ج1 (د/ط).مصر :دار الطلائع .
5. البخاري، أبو عبد الله محمد بن اسماعيل .(2002) .صحيح البخاري (ط.1). دمشق- بيروت : دار ابن كثير .
6. البغدادي، عبد القاهر .(2016) .الفرق بين الفرق (د/ط) .القاهرة :دار الطلائع.
7. البغدادي، عبد القاهر.(د/س). كتاب الملل والنحل (د/ط) . لبنان :دار المشرق.
8. البكّاي، لطيفة .(2001) .حركة الخوارج نشأتها وتطورها إلى نهاية العهد الأموي (132-37ه) (ط.1). لبنان :دار الطليعة.
9. التفتازاني، أبو الوفا الغنيمي .(1990) .علم الكلام وبعض مشكلاته (ط.1). القاهرة :دار الثقافة للنشر والتوزيع.
10. الجزري، ابن الأثير .(1987) .الكامل في التاريخ ج5 (ط.1) .لبنان :دار الكتب العلمية.
11. ابن الجوزي، أبو الفرج.(د/س) .تلبيس ابليس (د.ط). الاسكندرية :دار ابن خلدون.
12. محي الدين،عطا عبد الرحمن .(2007) .حركة الخوارج في بلاد الكرد وما جاورها (ط.1). السليمانية :مطبعة شڤان:
13. الرازي، فخر الدين .(1982) .اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (د.ط). بيروت :دار الكتب العلمية.
14. الزركلي، خير الدين .(1979) .الأعلام (ط.4). لبنان :دار العلم للملايين.
15. السبحاني، جعفر .(1428) . بحوث في الملل والنحل ج5 (ط.1). إيران :مؤسسة الإمام الصادق.
16. الطالبي، عمار. (2013) .آراء الخوارج الكلامية ج1 (ط.1) .الجزائر :موفم للنشر.
17. العاملي، جعفر مرتضى .(2002) .علي والخوارج (ط.1). لبنان :المركز الإسلامي للدراسات.
18. العجيري،عبد الله بن صالح .(2017) .المنشقون تنقيب عن مفهوم الخوارج بين التاريخ والواقع (ط.1) السعودية :دار النشر :تكوين.

19. العسلي، خالد .(1965) .جهم بن صفوان ومكانته في الفكر الإسلامي (ط.1). بغداد :مطبعة الإرشاد .
20. القسطلاني، شهاب الدين .(1996) .إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ج 14 (ط.1).لبنان : دار الكتب العلمية.
21. القلماوي، سهير .(1945) .أدب الخوارج في العصر الأموي (د.ط). القاهرة :مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.
22. النعيمي، سليم. (1967، 1 سبتمبر 1967). "ظهور الخوارج". مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد 18 (العدد 15) مدى الصفحات. (10-38).
23. إلياد، مرسيا .(2018) .المقدس والدنيوي (ط.1).تر: آية أحمد إحسان، سوريا :دار الحوار.
24. بوعجيلة، نادية .(2006) .الإسلام الخارجي (ط.1). بيروت :دار الطليعة للطباعة والنشر.
25. ابن حزم،الظاهري .(1996) .الفصل بين الملل والأهواء والنحل ج2 (ط.2). بيروت :دار الجيل.
26. حنفي، حسن. (1986) . موسوعة الحضارة العربية الإسلامية ج2 (ط.1).بيروت :المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
27. دسوقي، أحمد حامد .(2020، ديسمبر) . "موقف الإمام ابن حزم من الفرق الإسلامية (عرض ونقد)". مجلة كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية، المجلد الأول -الثاني -الثالث (39)، (2183-2236).
28. أبو زيد، درية الكامل .(2008) .موقف أبو المظفر الإسفراييني من الفرق الإسلامية، رسالة ماجستير، جامعة أم درمان الإسلامية. جمهورية السودان.
29. سليم، محمد شريف .(2007) .ملخص تاريخ الخوارج (ط.1).القاهرة :الدار الثقافية للنشر.
30. عقل، ناصر .(1998) .الخوارج أول الفرق في تاريخ الإسلام (ط.1). م ع س :دار إشبيليا للنشر والتوزيع.
31. عمارة، محمد .(1997) .تيارات الفكر الإسلامي (ط.2) .القاهرة :دار الشروق.
32. قوجة، المنصف .(2014) .تاريخ الأباضية الديني والسياسي (من القرن الأول إلى القرن السادس هجري)(ط.1) . تونس :الدار التونسية للكتاب.
33. الزهراني، محمد بن إبراهيم. (2020، 10 سبتمبر). "حوار ابن عباس الدعوي مع الخوارج أصوله وآدابه وأساليبه" "دراسة تحليلية". مجلة العلوم الشرعية ، العدد والرابع والعشرون ،(465-510)

34. معمر، علي يحي .(2008) .الإباضية في موكب التاريخ (ط.3). سلطنة عمان :مكتبة الضامري للنشر والتوزيع.

35. معمر، علي يحي. (د/س) .من هم الخوارج؟.(د.ط). ليبيا :دار الدعوة.

36. السابعي، ناصر بن سليمان بن سعيد. (1999). الخوارج والحقيقة الغائبة (د.ط). سلطنة عمان: مكتبة الجيل الواعد.